المكيدة في الشعر الأموي بين المضمر والظاهر
دراسة في ضوء نظرية المؤامرة
الكميت والحميري أنموذجا

م. د. علي جبار جلوب العيساوي
وزارة التربية
DR. Ali Jabbar Chaloop AL- Essawy
Ministry of Educatin
lalysawy40@ gmail.com

الملخص:

قد تكون الدراسات في العصر الأموي كثيرة جداً إلّا إن ما يتمتع به هذا العصر من أرضٍ خصبة تجعله محط اهتمام كثير من الباحثين على مرّ الزمان. فالصراعات والتجاذبات السياسية والخلافات العقدية والتهافُت على كراسي الحكم جعلت من الكلِّ إرادة الوصول إلى سدّة الحكم بأي طريقة كانت, ومن تلك الطرق والسُبل, المكيدة أو ما تُعرف اليوم بالمؤامرة التي ركبها الشعراء لتكون الطريق الأقرب للوصول إلى الغايات المنشودة. وهذا ما لوحظ في البلاط الأموي فضلاً عن المدافعين عن الجهات المخالفة للحكم الأموي آنذاك.

ومما لاشك فيه أن الطرق قد اختلفت في هذا الجانب, فمنهم من استعمل المضمر والخفاء لنشر الفكرة المخالفة أو الإعلان عن أمرٍ من شأنه زعزعة استقرار الآخر, والانقضاض عليه وازاحته من مكانته التي اعتلى عليها, ومنهم من ذهب إلى نوعٍ من الظاهر والواضح من القول؛ للوصول إلى دسّ السُم بالعسل للوصول إلى غايته, وبين هذا وذاك قد يصل الشاعر إلى ما يصبو إليه مِن نتائج تعود بالمردود الإيجابي له, ولِمَن حاك لأجله تلك المكيدة أو قد تَعود بالمردود المعاكس لذلك فتسبب بقتل ذلك الشاعر دونما فائدة. وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في مضان البحث عَبر استعمال المنهج الوصفي التحليلي؛ لكونه الاقرب للولوج الى داخل الابيات الشعرية ومعرفة ما يمكن معرفته من نوايا مسبقة.

الكلمات المفتاحية: المكيدة – المؤامرة – المضمر – الظاهر – شعراء البلاط .

المكيدة في الشعر الأموي بين المضمر والظاهر دراسة في ضوء نظرية المؤامرة
الكميت والحميري أنموذجا

م. د. علي جبار جلوب العيساوي

Summary:

Studies on the Umayyad era may be very numerous, but the fertile ground that this era has makes it the focus of interest for many researchers over time. Conflicts, political tensions, doctrinal disputes, and jockeying for ruling positions made everyone want to reach power by any means, and among those ways and means is scheming, or what is known today as a conspiracy concocted by poets to be the closest path to reaching the desired goals. This was observed in the Umayyad court as well as by the defenders of parties opposing Umayyad rule at the time

There is no doubt that the methods have differed in this aspect. Some of them used the implicit and hidden to spread the opposing idea or announce something that would destabilize the other, pounce on him and remove him from the position he had ascended to, and some of them went to a kind of apparent and clear statement in order to reach a deception. Poisoning with honey to achieve his goal, and between this and that, the poet may achieve the results he aspires for, which will bring positive returns for him and for whomever he plotted this plot for, or it may bring the opposite results, thus causing that poet to be killed without benefit. This is what we will try to find out in the course of research

Keywords: intrigue - conspiracy - implicit - apparent - court poets.

المحور الأول: الجانب النظري للمكيدة عَبر اللغة والاصطلاح.

قد لا نجد في أغلب كتب المعاجم المعتبرة التفسير الواضح لمفردة (كاد) أو(كيد) أو(مكد) إلا إن الباحث حاول أن يصل إلى ما تعنيه تلك المفردة من معنى دارج ومتعارف عليه لدى العامة وهو إيصال المكروه والسوء للآخر خفية, وهذا ما وُجد في بعض المعاجم ومنها عند صاحب كتاب المعجم الوسيط حينما فسّر لفظة(مَكَدَ) بالماءِ[1], وهي إشارة الى ما ينماز به الماء من سلاسة وانسيابية عند جريانه ولا يَكاد الشعور

به هذا من جانب, ومن جانب آخر هو ما يتركه الماء إثر جريانه من شقوق وحُفرٍ لا يمكن تجاهلها حتى على الصخور الصماء.

وأشار صاحب معجم لسان العرب إلى المكيدة في معرض حديثه عن التحايل وإخفاء النية السيئة, وذكر ما يتداوله العرب من كون(الكيد في الحروب حلال)[2] إذ عدّها العرب من ضمن الخطط المأخوذ بها والركون إليها للوصول إلى النصر.

ونجده في موقعٍ آخر يُذكر(الماء المستنقع في بطن وادٍ)[3] كتفسير للفظة(حيل) والتي تمتد لتصل إلى(الحيلة) وهي القوة كما أُطلق عليها, وهذا الماء الذي يرمز إلى الشيء الخفي في الباطن ولا يمكن الوصول إليه بسهولة إلا عن كثب, وهذا ما يربط ما ذُكر بلفظة (المكيدة) التي أيضا لا يمكن الوصول إليها إلّا إذا كان الآخر ذا حنكة وفطنة وسياسة تؤهله أن يَحلّ ما حيك له من مكيدة وخطط خفية .

وإذا ما بُحث في المعنى الدلالي للفظة (المكيدة) نجدها تعني(خطط خادعة, وتأمر ماكر, ويتضمن تدبيراً سرياً ماهراً)[4] للوصول إلى أمرٍ ما, وهذا الأمر له علاقة بمن يُحيك المكيدة سواء أكان لنفسه أم لغيره, وما يعنينا هو أثر المكيدة عَبر الشعر.

وللإيضاح أكثر لا بد من ان نشحذ مرجعياتنا الدينية للبحث عن مدلول (المكيدة) وهل اُستعملت في القرآن الكريم للغرض نفسه الذي تعارفَ عليه العربُ قبل وبعد الإسلام؟ فنجد أن آية ((قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ...))[5] خير مثال لتجسيد لفظة المكيدة, فهناك من فسرها بأنها(ضرب من الاحتيال, وقد يكون مذموما وممدوحا وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر)[6] وهذا يؤكد وجود هذه المفردة في قاموس مرجعياتنا الدينية والثقافية أيضا, إذ لا يُخفى على ذي لبّ أن أكثر الحروب والصراعات التي خاضها العرب وغير العرب قامت على المكيدة والخطط غير الشرعية, وغير القانونية بغية الوصول إلى ما يصبون إليه فضلاً عن أنها تُعد من الدهاء والذكاء والحنكة, وهذا ما يتفاخر به قواد الجيوش, وحكام البلدان حين ينازلون غيرهم من المخالفين.

وليس بالغريب تطور مدلولات الألفاظ إلى العصور الحديثة وبألفاظ جديدة لكنها توحي إلى المعنى نفسه إذا ما كانت أعمق, فلفظة(المؤامرة) على الرغم من كونها حديثة المولد في المعجم العربي إلا إنها أصبحت نظرية جذبت اهتمام كثير من الباحثين, ودخلت في أغلب المجالات الدراسية, منها السياسية والاجتماعية والدينية, وما يهمنا هو ارتباط المعنى الدلالي لها بالمكر والمكيدة الذي هو محور البحث والدراسة, لكون ما سنضع عليه انامانا للدراسة والفحص في الابيات المختارة والتي توحي إلى كل ما يخص المكيدة سواء أكان ذلك باللفظ الصريح أم في الايماء .

فقد (ورد هذا المصطلح لأول مرة في مقالة اقتصادية عام 1920، ولكن جرى تداوله في العام 1960، وتمت بعد ذلك إضافته إلى قاموس أكسفورد عام 1997, ويعني قيام طرف ما معلوم أو غير معلوم بعمل منظم سواءً بوعي أو بدون وعي، سراً أو علناً، بالتخطيط للوصول لهدف ما مع طرف آخر

ويتمثل الهدف غالباً في تحقيق مصلحةٍ ما أو السيطرة على تلك الجهة، ومن ثم تنفيذ خطوات تحقيق الهدف من خلال عناصر معروفة أو غير معروفة)[7] .

إذاً ف(المؤامرة) مصطلح حديث أُطلق على الأشياء التي لا تحدث صدفةً إنما تدور في غرف مغلقة وتحت ظلام الليل, فقد وردت في معجم لسان العرب بمعنى تشاور فقال:(يتشاورون عليك ليقتلوك)[8], مستشهدا بقول الله تعالى((أن الملأ يتأمرون بك))[9] أي يهمون بك, (فمعنى قوله يأتمرون بك أي يُؤامر بعضهم بعضاً فيك أي في قتلك)[10]. وقد ذُكر هذا في تفسير الميزان أيضا بقوله: أن فرعون ورجاله تأمروا على قتلك فاخرج من المدينة[11].

وبهذا أصبح المصطلحان يلتقيان في مدلول واحد بعد إن تبين أنهما من مشرب واحد, وأن ما مرّ من زمن عليهما لم يمحو ما تحمله هذه المفردة أو تلك من مدلول ومعني يفيد التخطيط والسرية ومحاولة الفوز على الآخر بطرائق غير شرعية يُعتمد فيها على العقل وما يُدبره من سُبل هي الاقرب من الطرق الواضحة والمتعارف عليها.

المحور الثاني: المرجعية الثقافية للمكيدة العربية.

مما لاشك فيه أن العرب أصحاب حكمة ودهاء, وقد تكون هذه الصفة جيدة في بعض الأمور إلا أنها تكون غير ذلك في الأمور الأخرى, وبما أن العرب انمازوا بقول الشعر واتقانه فقد(كانت مهمة الشعر الذي كان يمثل الوسيلة الإعلامية الأكثر نجاعة)[12] ورواجا في تحقيق ما يصبون إليه من غرض, وهذا ما اتضح ملياً في بعض الأبيات الشعرية التي وصلت إلينا من شعراء كبار وغيرهم وهم يؤكدون مشروعية استعمال المكيدة والتحريض والمؤامرة في شعرهم, ومنهم من يتفاخر في ذلك, فقد استعملوا طرقاً كثيرةً تحملُ سمة المكيدة للآخر فمنهم من نَجحَ فيما يبتغي واعتلى شأنه, ومنهم من دفع دمه حِيالَ ذلك ولم يستطع الوصول إلى ما كان يهدف إليه.

وإن أنعمنا النظر في المُدد الزمنية التي نشطت فيها المكيدة وخيوط المؤامرة تكاد تُحجب الرؤية؛ لكثرة تداول هذه الطريقة في التعامل السياسي والاجتماعي على مرِّ السنين, فإن وقفنا في بداية العصر الأموي لنلقي نظرة على ما حدث, لوجدنا أن قتل الخليفة الرابع الإمام علي كان ضمن مؤامرة حِيكت بتمعن ومكر ومكيدة, وكان هذا بشهادة أحد شعراء الخوارج حينما قال:

دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاءً إذا ما جاء نفساً كتابها
أبا حسنٍ خذها على الرأس ضربة بكفّ كريمٍ بعد موتٍ ثوابها[13]

وهذا اعترافٌ صريح للقيام بهذه الجريمة التي كان الهدف منها الاستيلاء على الحكم والتخلص بطريقة ما من الحاكم الحالي, وهذا يثبت شرعنة السُبل للوصول إلى الغايات بأي ثمن كان.

لذا نجد أبو الأسود الدؤلي يقف في الجانب الآخر ممن حاكوا المؤامرة لقتل الإمام علي محاولا أن يردَّ الطريقة نفسها عَبر تحريض الناس والرعية للتحرك بأخذ الثأر أو الانقلاب على الحكومة الحالية بقوله:

صبغت أميةُ بالدماء أكُفّنا وطوتْ أميةُ دوننا دُنيانا [14]

فقد وظّف الشاعر لفظة(صبغت) وهو ما متعارف عليه من عدم ذهاب هذا اللون أو إزاحته بسهولة, ويقصد به لون الدم الذي سال من رأس الإمام علي (عليه السلام) والذي يقصد به اتهام بني أمية بقتل الإمام أولا, وإجبار الرعية على السكوت على هذه المعصية ثانياً, فهو بهذا يُبدي التذكير والتحريض على أن الإنسان مسافر في هذه الدنيا, وأن له حياة أُخرى يجب التفكّر بها فاذا ما رضينا بما حدث فإننا نكون شركاء بهذه الجريمة التي اهتز لها العرش في السماء, وهذا لون من ألوان المؤامرة التي اعتلت المرجعيات الثقافية للعرب.

وإذا ما تقدمنا قليلا فإننا ندخل في أزمة سياسية أخرى وهي قتل ابن بنت رسول الله على مرأى ومسمع الجميع, لذا انبرى كثير من الشعراء للتكفير عن عدم نصرة الحسين في واقعة الطف بما يجود به قريحتهم من أبيات شعرية شملت كل من الرثاء, والندم, ومنها التحريض, والتآمر على من استبعد أصحاب الحق الشرعي بالخلافة –بحسب ما يدّعون– وتنصيب غيرهم, فنجد أحد هؤلاء الشعراء وهو أيمن بن خريم يَعد العدة لإثارة الناس على بني أمية بأبيات شعرية قال فيها:

أأجعلكم وأقواما سواءٌ وبينكم وبينهم الـــهواءُ

وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماءُ [15]

فعن طريق رسم مقارنة عينية تجسّد المحسوس والملموس استطاع الشاعر أن يُوجد تباين بين من اعتلى الحكم, وبين من هُم أحق به منه, ويقصد بذلك مقارنة بين بني هاشم وبين بني أمية الذين أمروا بقتل الحسين عليه السلام, فنجده قد انتقى العبارات لرسم صورة شاملة لكون(التناسب والتناسق يشكل طاقة جمالية كبرى في هذه الصور)[16] يساعد المتلقي بتحسسها, والميول إليها, والتأثر بها, وهذا ما أراد الشاعر الوصول إليه وهو المشاركة الفاعلة مع النص الشعري المُعدّ للثورة أو الانقلاب.

ومن الشعراء من يحاول أن ينصب مكيدة داخل مكيدة لتحقيق مآرب في نفسه ومنهم الشاعر كُثَير عزة الذي تألم جداً لمقتل الحسين بن علي عليهما السلام, فقال:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه هم اسباطه والأوصياء[17]

فإذا ما دُقق في الكلمات التي جاء بها الشاعر نجده قد احتال في دعوته ضد بني أمية, ففي الظاهر أنه مستاء من تنصيب حكام من غير بني هاشم ويقصد بهم أبناء علي **(عليه السلام)** والذين يُسمَون بالأسباط أي أبناء فاطمة بنت محمد النبي **(صل الله عليه واله وسلم)** ولكنه في الداخل كان يُضمر حبّه ورغبته في وصول محمد ابن الحنفية لسدة الحكم عَبر نعته بالسبط الثالث, لكون ما هو ظاهر ان الاسباط اثنان هما الحسن والحسين(عليهما السلام), وأن من المتعارف عن الشاعر أنه (كان يُضمر ميلاً خاصاً إلى

آل علي, وأنه كان متألماً جداً لمقتل الحسين, وقد وجد في دعوة خندق إلى الثأر للحسين ومبايعة ابن الحنفية ما يوافق مشاعره وميوله)[18], وهذا نوع آخر من التآمر الذي يحاول الشاعر الوصول عَبره إلى ما يُريد.

ولا تقتصر ثقافة التآمر عَبر الشعر العربي على أي عصر من العصور التي مرَّ بها الشعر العربي, فإن تقدمنا قليلاً– فقط لنُثبت انها ثقافة وظاهرة موجودة فعلا في كل الازمنة– نجد أن أحد الشعراء قد حاك عَبر أبياته الشعرية مكيدة للتلاعب في تنصيب الأمراء بعد الخلفاء وهو إسماعيل بن صالح العباسي(190هـ) الذي أشار إلى الخليفة برأي قال فيه:

يا ايها الملك الذي لو كان نجما كان سعدا
أعقد لقـــاسم بيعة واقدح له في الملك زندا
الله فـــرد واحـــد فاجعل ولاة العــهد فردا [19]

يبدو أن الشاعر قد درس القضية من جميع جوانبها فوجد أن الفتنة تأتي أُكلها في تنصيب الابن الثالث ليكون أميراً ووليا ثالثاً للعهد بعد أبيه, علما أن امهات الأمراء من مشارب مختلفة, وبهذا يضمن حصول الصراع داخل منظومة الحكم, فتدبُّ الفتنة ويصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الانهيار التام, وبأخذ الحاكم لرأي الشاعر قد حصد الشاعر ما كان يبتغيه من مكيدة ومكر, والدليل على ذلك ما جاء في جواب شاعر آخر, إذ حذر من مغبة هذا الأمر الذي رأي أن الخليفة قد أخطأ في سماع هذه المشورة إذ قال:

رأى الملك المهذب شر رأي بقسمته الخلافــة والعبادا
رأى مـــا لـــــو تعقبه بعلم لبيّض من مفارقة السّوادا
فقد غرس العداوة غير آل وأورث شمـــــل الفتهم بدادا
وألقح بينهم حـــربا عـــوانا وساس لأمـــة بـــــهم القيادا
فويل للرعية عما قليـــــل لقد أهدى لها الكرب الشدادا
والبسها بلاء غير فـــــان والزمهـا التضعضع والفسادا [20]

فالمتتبع للأبيات الشعرية يجد اللوم والحسرة في تنفيذ أمر تنصيب أمير ثالث للدولة فضلاً عمّا سوف يحدث من عداوة سوف تورث للأجيال القادمة, وما سوف يكون له من مردودٍ سلبي للرعية من كرب وشدة تفتك بهم, وبلاء طويل الأمد, وفساد ينخر مفاصل الدولة, وهذا ما تنبأ به الشاعر الذي نظر الى تلك المشورة المحملة بالمكيدة والتي أخذ بها الخليفة نظرة المتفكر العارف لِما سوف يكون في المستقبل القريب, فضلاً عن تأثير زوجات الخليفة وما سوف يقمنَ به من أعمالٍ لإزاحة كل منها المنصب لولدها وإبعاد الآخر بأي طريقة.

وهناك من الشعراء من اعترف بذهابه إلى المكائد لوصول حكامه إلى النصر, أو المناصب التي كانوا يحلمون بها, وأن ما يدعو إلى أن يكون الشاعر من التابعين للحاكم هو ما يجودون به من سخاء لهؤلاء الشعراء الذين يجيدون المدح للحكام والهجاء لمخالفيهم[21], ومنهم الشاعر أبو موسى عيسى بن موسى الذي أشهر باستعماله للمكيدة ضد الأمويين لنصرة بني العباس, إلا أن الأخير لم يجازِ الشاعر بما كان يحلم به من سخاء, فقام بعتابهم بأبيات قال فيها:

أقاتل عنهم عصبة ما أُريدها بسوء كبير من العيون صغيرها

أقطـــع أرحامـا عليّ عزيزة وأسدي مكيدات لـــــها وأثيرهـــا[22]

وهذا اعتراف صريح من الشاعر في كون الذهاب إلى المكائد أمر مشروع وربما يكون مندوحاً عند بعضهم, فالشاعر قد أفصح بأنه قد قاتل من هم أصحاب أعزاء عليه, وقد قام بقطع صلته بأرحامه, فضلاً عن وضع الخطط والمكائد لهم في سبيل الوصول إلى هذا النصر الذي لم يُقابَل بما يُرضي الشاعر نفسه فاضطر الشاعر إلى أن يُبدي عتبه لهم, ويفصح عمّا قام به من أجلهم, وأظنه نادماً عمّا قام به من عملٍ.

وهناك شاهدٌ آخر تتضح فيه جلياً كيفية نصب المكائد ونسج خيوط المؤامرات, وتلك ما وجدت عند الشاعر أبو نخيلة الذي أخذ يوجه أبا جعفر المنصور في مَن يُنصب لولاة العهد فنجده يقول:

لـيس ولـــي عهدنـــا بـــالأسعد عيسى فزحلقها الى محمدِ

من عند عيسى معهداً عن معهد حتى تؤدى مـــن يدٍ الى يدِ

فقد رضينـــا بالغـــلام الامـــــرد وقد فرغنا غير ان لم نشهدِ

وغيـــــر ان الـــــعقد لـــم يؤكد فلو سمعنا قولك أمدد أمددِ

كانت لنـــا كدعقة الورد الصدى فناد للبيعة جميعـــاً نحشدِ [23]

مما لاشك فيه أن المكانة التي كانت تُحرز للشعراء في البلاط تجعلهم يتحركون في مسافات متباينة في منظومة الحكم؛ لكونهم يُعدون من مستشاري الحكام في بعض الأحيان, وهذا ما يشجعهم على التدخل في تغيير اتجاهات بوصلة الحكم, فالشاعر قام بمد قنوات سالكة لمحمد المهدي الذي أراد له أن يكون ولياً للعهد بَدل عيسى بن موسى بن أخ الخليفة, وقد نجح في ذلك؛ لِما كان لشعره من وقع على الحاكم, فقد اختار ألفاظا وعبارات قد لا تكون مألوفة لدى الشعراء مثل قوله(فزحلقها) ساعدت في ترسيخ الفكرة في عقل الحاكم مع ما أورد من حجج ودلائل على عدم أهلية الآخر لمنصب ولي العهد, ما جعل الأمر أسهل وأنجع, وفعلا أثمرت تلك المكيدة وخُلع عيسى وتولى محمد مكانه ما جعل عيسى يبحث عن الشاعر ليقتص منه وفعلا استطاع أن يقتله بعد حين[24], وهذه هي حالة البلاط ومن يستمع لحائكي الفتن والمكائد.

وبهذه النماذج القليلة نستطيع القول أن المكيدة والمؤامرات هي خاضعة لمرجعيات ثقافية يكتنزها العقل البشري على الرغم مما يسببه من مشاكل وتفرقة وربما يصل إلى أنهر من الدماء في حرب لا نهاية لها, فقد وجدنا من يؤدلج هذه الفكرة ويشرعنها ما يجعلها مندوحة عند كثير من الأقوام على مرّ السنين واختلاف العصور والحكام, وأن الشاعر كان له الأثر البالغ في توطيد هذه الأفكار ونشرها والعمل بها عَبر

ما ينشده من أبيات شعرية تحمل تارة غرض الرثاء وتارة أخرى المديح وغيرها من الأغراض التي يوظفها الشاعر لتكون قناة صالحة لدسِّ السّم في عسل من يريد .

المحور الثالث: الجانب التطبيقي للمكيدة في شعر الكميت والحميري.

إن طبيعة الشعر العربي –كما هو متعارف عليه– سريع الانتشار والحفظ, فضلاً عن أنه قوي التأثير والتأثر في المتلقي, لذا لجأ إليه العرب في إيصال رسائلهم وخطاباتهم بغض النظر عن المسافات البينية بين المرسل والمرسل إليه.

فقد يكون الخطاب لسدِّ الطريق أمام من يُحيك المؤامرات في البلاط عن طريق توجيه رسالة مفادها الحذر الحذر ممن يُسدي إليك الرأي والمشورة فتكون بعد ذلك من الخاسرين, وهي طريقة ذكية للحرب الداخلية نجدها عند بعض الشعراء أصحاب الاتجاه المعروف ومنهم السيد الحميري حينما وجّه أبياتاً شعريةً إلى أبي جعفر المنصور يحذره من القاضي سوار بن عبد الله الذي كان معروفا بكرهه للإمام علي(**عليه السلام**) فيقول:

قـــل للإمـــام الذي يُنجي بطاعته ... يوم القيامـــةِ مَن بحبوحةِ النـــــارِ
لا يستعين جـــزاك الله صالحـــــة ... يا خير من دبَّ فـــــي حكمٍ بسوارِ
لا تستعين بخبيث الرأي ذي صلفٍ ... جـــم العيوب عظيم الكبـــــر جبارِ
تضحـــــي الخصومُ لديـه من تجبّره ... لا يـــرفعون اليـــه لحـــظ أبصـــارِ
تيهـــاً وكبـــراً ولـــولا ما رفعت له ... من ضبعه كان عينَ الجائع العاري[25]

فبهذه الأبيات قد يصل الشاعر إلى مآربه عَبر التخلص ممن يُحيك لهم المؤامرات داخل القصر, عن طريق فضحه أمام الحاكم وإبراز مساوئه التي طالت الرعية, وما أصابه من كِبر واعتلاء, وبهذا يكسب الشاعر التقرب من الحاكم؛ لتغيير ما يُمكن تغييره, وربما يحرف بوصلة الحكم إلى ما يرتجيه .

وكما ذكرنا في مضان البحث أن الشاعر كاد أن يكون المستشار الأقرب للحاكم, أو الخليفة, ما سهل مهمة الشعراء في بثهم للمكيدة ونشر الفوضى, ومحاولات تعلوها المؤامرة تحت جناح الليل وفي الغرف المظلمة, وهنالك خطابات تكون في العامة الهدف منها إيصالها داخل البلاط في حال كان الشاعر خارج المنظومة الحاكمة, فبهذا يكون الخطاب أبلغ من النداء القريب في الإفهام وإيصال الرسالة[26] إلى كنف الحاكم, وهذا ما لجأ إليه الشاعران الكميت والسيد الحميري.

فإن أنعمنا النظر في بعض أبيات الكميت فقد نتلمس فيها تلك الخيوط التي يحاول أن ينسجها لتكون طوقا حول أعناق الحكام الأمويين, فنجده تارة يلجأ إلى الظاهر من القول بطريقة الخطاب لبثّ المكيدة بين

الشعب والعامة بنيّة الانقلاب, وتارة تجده يطير بجناح خفاشٍ تحت ظلام الليل ليتمكن من اشعال الفتنة وتحرك الناس وإثارتهم ضد الحكام الحاليين, فيقول في إعلانه عن المكيدة:

فقل لبني أمية حيث حلوا وإن خفت المهند والقطيعا

.....

أجاع الله مـــن اشبعتموه وأشبع من بجوركم أجيعا

.....

بمرضىّ السياسةِ هاشميٍّ يكـون حيا لامته ربيعـــا [27]

وهذا نداء واضح لإثارة الرعية على السلطان أو الحاكم الذي يجده الشاعر مُحب للسلطة والخوض في السياسة التي عادت بمردودات سلبية على الرعية, فضلاً عن كون الشاعر قد نفث مكره بطريقة العَلن, إلا إنه يدعو إلى المواجهة دونما خوف, وهذا بحد ذاته نوع من أنواع الدعوة للعصيان والثورة.

وتجده في موضع آخر ينتقل من الظاهر إلى المضمر في دعوته إلى إزاحة الحكام, فإنه يدعو بطريقة الإخفاء فيقول:

ألا هـــل عمَّ فـــي رأيه مُتأملُ وهل مُدبرٌ بعد الإساءةِ مُقبلُ

وهـــل أمـــة مُستيقظونَ لرشدهم فيكشفُ عنه النعسةَ المتزملُ

فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى مساويهم لو أن ذا الميل يعدلُ

وعطلت الأحكـــامُ حتـــى كأننـــا علـــى مِلةٍ غير التـــي نتنحّلُ[28]

وبهذه الطريقة قد انتقل الشاعر إلى التخفي في طرح المسألة عَبر إدراجه بعض الألفاظ والعبارات التي تُحاكي الواقع الذي يعيشه العامة من الرعية, ومحاولة الشاعر في استعمالها للوصول إلى ما يريد, فقد أشار إلى عدم الرجعة فيما اقترفه آل أمية بحق آل الرسول وحقهم بالخلافة وهذا نوع من الإقرار بعدم انتظار الرعية للعودة إلى النفس اللوامة لدى الحكام, هذا من جانب ومن جانب آخر أثار مسألة النوم الذي قصد به الشاعر السكوت المطبق للرعية, وعدم النهوض ورؤية الحقيقة التي يحاول الحكام إخفائها, فضلاً عن وقوفه عند مسألة تعطيل الأحكام التي تُعد الركن الأساسي للإسلام ومعلمه, ففي حال تعطيلها يتم الخروج من هذه الملة , وهذا النوع الذي نتلمسه عند الكميت في هذه الأبيات تجعل منه متمرسا في حياكة المؤامرات للآخر في سبيل وصول من يحبّهم أو يميل إليهم إلى سدة الحكم.

وإذا انتقلنا إلى السيد الحميري وما ينسجه من أبيات شعرية تصبُّ في مصلحة إثارة الفتنة عن طريق المؤامرات والمحاولات الذكية من لدنه, ومنها التحفيز الذهني للمتلقي عَبر إيجاد بعض الفوارق والمقارنات بين آل محمد**(صل الله عليه واله وسلم)**, وبين بني أمية الذين حكموا العباد بعد مقتل الإمام علي **(عليه السلام)**, فيقول في بعض ابياته:

طـــــابَ الوُرودُ بحبِّ آلِ محمدٍ حوضَ النبيّ إذا أردْتَ ورُودا

سَقيـــا لِشيعـــةِ أحمد ووصِيّـــه أعنـــي الإمامَ وليّنا المحْسودا

أعنـــي الموحِّدَ قبلَ كـــلِّ موحّدٍ لا عـــابداً صنماً ولا جلمودا
أعني الذي كشفَ الكُروبَ ولم يكنْ فـــي الحربِ عندَ لِقائِها رِعدِيدا
أعني الذي نصرَ النبـــيَّ محمداً وَوَقـــاهُ كـيدَ معاشِـرٍ ومكيدا [29]

فنجد الشاعر يبدأ كلامه بالاعتماد على رأس الهرم والتذكير به وهو الرسول الاعظم**(صل الله عليه واله وسلم)** وهي بمثابة الرجوع خطوة إلى الخلف في مرجعيات الناس الدينية والثقافية, ومن ثم يبدأ بالانطلاق نحو الهدف المنشود, وهو مَن يمثل الرسول وخطه المُتبع, ويقصد به الإمام علي**(عليه السلام)** وما تذكيره بأن علياً لم يسجد لصنمٍ, والموحد الأول, والمدافع الأصيل عن رسول الله, والذاب الأول عن الإسلام وأهله في كلِّ الحروب ولم يتراجع أو يَجبُن, والذي يصد المكائد التي كانت تُحاك ضد الرسول الأعظم, إلّا نوعاً من أنواع المؤامرة على حكام بني أمية, ومحاولة تأليب الرعية عليهم, فضلا عن كونها مقارنة تتيح للمتلقي تسليط الضوء على عبّاد الاصنام, والرعديد في الحروب, وهذا ما عمل عليه السيد الحميري في كثير من أبياته الشعرية.

وتجده في موقع آخر يحدث مقارنة أخرى في قصيدة طويلة يشحذ بها أذهان الناس ويعتمد على مرجعياتهم التاريخية؛ لخلق فوارق بين الإمام علي ومن جاء بعده أو من يكنون له العداوة, فيقول في بعضها:

قل للذي عادى وصيّ محمدٍ وأبانَ لي عن لفظِهِ إنكارا

إلى ان يقول:

مَنْ كَانَ صلّى القبلتينِ وقَوْمُهُ مثلُ النواهِقِ تَحمِلُ الأسفارا [30]

فكعادته أخذ السيد الحميري يخصف فسطاط المؤامرة بالعبارة بعد العبارة والرسالة بعد الرسالة جاعلاً الناس يُعيدون حساباتهم بما يكيل لهم من دلائل نقلية وعقلية تشير جميعها بمن يستحق أن يُولى بعد الرسول الأعظم, وهذا يُعد تحريضاً صريحاً تارة ومضمر تارة أخرى, فالظاهر يبين أنه مدحا لشخص الإمام علي, والمضمر هو محاولة انقلاب جذرية على من يعتلون الحكم ولهم رأس القرار.

وقد لجأ كثير من الشعراء ومنهم الكميت إلى بث الحقائق بشكل مضمر محاولا الوصول إلى غاياته من دون أن يصيبه الأذى, ففي قوله:

بحقّكُمُ أمست قريشٌ تقودنا وبالفذِّ منها والرديفينِ نركبُ
إذا اتضعونا كارهينَ لبيعةٍ أناخوا لأخرى والأزمّةُ تُجذبُ
ردافى علينا لم يسيموا رعيةٌ وهمّهمُ أن يمتروها فيحلبوا
لينتجـــوها فتنةً بـــعد فتنةٍ فيفتصلوا أفلاءَها ثُمَّ يربوا [31]

ظاهر الكلام يدور حول البعير وما يحصل معه من مصاعب أثناء ترويضه ووقت ولادته, وبعدها تفريقهم لتهيئتهم لحياة أخرى تسير وفق ما سار عليها السابقون من صنفه, والمضمر من الكلام هو ما يقصده الشاعر من إيصال حزمة من الحقائق الحالية وبعض التنبؤات للمستقبل البعيد, جراء حكم من ليس له صلة بكرسي القيادة, ويقصد بهم بني أمية, فهو بذلك قد نقل ما بجعبته من ركائز لبناء قاعدة تشوبها المكيدة لإيقاع بني أمية بالمحذور عَبر نشر ما خططوه من مكائد للوصول إلى سدة الحكم وما وضعوه من خطط لتسيير الرعية لمدة من الزمن, والذي فصّلها الكميت بتلك الأبيات التي لو فُسرت بالشكل المطلوب ربما تحدث شرخا كبيرا في البلاط الأموي.

وهناك طرق أخرى اتبعها الكميت ليصل عَبرها إلى توعية المتلقي ووقوفه على الحقائق التي ربما تناساها لكثرة الأموال التي أُهديت إليه, أو ربما ما يُعانيه من ضعف أمام حكومة وصفت بالظالمة, وهذه الطريقة هي السخرية من الحاكم والقول ما ليس فيه بشكل يحرجه ويلفت نظر المقابل لذلك, فيجعله يبحث في مرجعياته التاريخية والدينية إذا ادعت الضرورة لتطبيق ما جاء به الشاعر على تلك الحقائق والخروج بالناجع الصالح, فقوله:

وجدنـا قُريشاً قُريشَ البِطاحِ علـــى مَا بَنَى الأولُ الأوّلُ
بِهِمْ صَلُحَ النّاسُ بَعدَ الفسادِ وحيصَ من الفتقِ ما رَعبَلُوا[32]

يريد الشاعر الاستهزاء بالحكام وتأليب الرعية عليهم عَبر ما وصلوا إليه من فساد, فقوله (بهم صلحت الناس بعد الفساد) فهل يعقل أن دين محمد**(صل الله عليه واله وسلم)** جاء بالفساد!! أو أن من تبعه من آل البيت قد شوهوا صورة الإسلام ففسدت الناس ليأتي بنو أمية ليصلحوا؟! لكن الشاعر قد خاط راية بارزة وسط منظومة الحكم الأموي؛ لتكون علامة ودليلاً لمن يُريد أن يرى بعين الحقيقة إلى ما وصل إليه الناس بعد أن اعتلى الحكم – بحسب قناعة الشاعر – مَن لم يكونوا أهلاً له.

وقد يكون الشاعر الذي يُعد السلاح الأول للعشيرة أو الحزب أو الجهة المحسوب عليها, فتقع عليه مسؤولية تتبع الأمور إلى حيث تصل, ومحاربتها بلسانه الذي يُعد أمضى من السيف في بعض الأحايين, فنجده يشن حربا على حكام بني أمية ويحاول أن يحفر خندقا حولهم لتقييد حكمهم ومن ثم الاطاحة بهم عَبر التذكير بالمدد الزمنية التي حكموها دونما عدل ومساواة, فيقول:

فتلك ولاة السوء قـــد طال ملكهم فحتام حتام العناء المطوّلُ
رضوا بفعال السوء في أهل دينهم فقد أيتموا طورا عداءً وأثكلوا [33]

فالتآمر هنا يعد واضحاً عبر ما يحاول الشاعر البوح به بأن الحكم الحالي هو حكم سوء, ويكمن فيه العناء والظلم, وقد أبدا الشاعر تحذيره من إبقاء هذا الحكم إلى مدد أطول, ومن ثم ينتقل إلى نشر الدليل الواقعي في كونهم ممن جاروا على أهل ملتهم ودينهم, وما خلفوه من أيتام وما أثكلوه من أمهات, فقد يكون في طرح هذه الطريقة من التحذير تحريكا لمشاعر الناس ليعطيهم قوة وعزيمة للقيام على المنظومة الحاكمة

آنذاك, وتُعد من مصائد ومكائد الشعراء للولاة الذين تأمروا دون قبول الرعية– بحسب ما يعتقد الشاعر واتباعه– من الموالين له.

ولقد تبين عَبر ما ذُكر أن الشاعر يَعد نفسه صاحب رسالة من الواجب أن يؤديها, فأصبح لزاماً عليه أن يُذكّر بما هو خطر, أو يُحذر من وقوعه, وهنا نجد السيد الحميري يوجه سهام شِعره إلى أتباع عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق, وذلك بعد تولي بنو العباس الحكم بعد أمية, ويشير إلى ما قاموا به من أفعال منكرات إلى الإمام على الرغم من قربه لرسول الله الأعظم فيقول:

قـــل لابنِ عباسٍ سميّ محمدٍ لا تعطِينَّ بني عَديّ دِرهما
احـــرِمْ بنـــي تيمٍ بـنِ مُرةَ إنهم شَرُّ الـــبريةِ آخِراً ومقدّمـــــا
إن تعطِهم لا يشكروا لكَ نعمةً ويكـــافئوكَ بأن تُذمَّ وتُشتما

إلى أن يقول:

ثم انبروا لوصيّهِ ووليه بالمنكراتِ فجرّعوه العلقما[34]

وهنا لا يقف الشاعر عند حدود معينة لبثّ المكيدة وخيوط المؤامرة, إذ إنه يوظف كل شيء لمصلحته الخاصة, فحينما يخاطب بني العباس لا يعني أنه يميل إلى حكمهم أو الركون إليهم, وإنما وجدها فرصة للنيل ممن كانوا سبباً في إيذاء آل الرسول, هذا من جانب ومن جانب آخر محاولة غلق قنوات اتصال بقايا الأمويين بالحاكم العباسي, فبذلك يكون قد حقق مآربه بما يمتلكه من حق بالبوح بما في داخله كشاعر له منزلته وثقله.

وبعد هذه المسيرة القصيرة في ثنايا الشعر الذي كان يحمل المكيدة ورياح المؤامرة من قِبل الشعراء الذين وجدوا أنفسهم أصحاب الحق في مشروعية التصدي ضد الحكم الجائر أو ما يطلقون عليه المتأمرين, نجد أن عنصر المؤامرة كان حاضرا في كثير من الأبيات الشعرية عَبر ألفاظ وعبارات تارة تكون ظاهرة للعيان, وأخرى تكون خفية ومضمرة, الهدف منها تحقيق مكاسب هنا وهناك, وبالطريقة المباشرة أو غير ذلك, فنجدهم يوجهون الخطاب للحكام إذا ادعت الضرورة, أو يكون ذلك عَبر الناس ومن تناقل الأشعار لتصل إليهم, أو يكون عن طريق تأليب الرعية نفسها لتكون الأداة لزحزحة العروش.

وكان لاختيار الألفاظ المناسبة والعبارات المحملة بالدليل العقلي والنقلي أثر كبير في إيصال الرسائل والخطابات إلى البلاط الملكي أو الناس, فنجد الشاعر يتلاعب بمفرداته ليحدث صدمة في ذهن المتلقي أيمانا منه للحصول على صحوة تصب في صالح الشاعر ومن ثم في ما يسعى إليه من مآرب قد تكون شخصية أو غير ذلك.

الخاتمة والنتائج:

1- العصر الأموي أرض خصبة لنشر المكائد والمؤامرات؛ لكثرة الخصومات والمشاحنات وتوسع طالبي السلطة.

2- لم نلاحظ وجود هذه المفردة في العصر التي سبقت العصر الاموي, وهذا دليل على أن المكائد والمؤامرات نمت مع نمو التهافت على العروش.

3- الشاعران الكميت الأسدي والسيد الحميري من أكثر الشعراء دفاعا عن حق آل البيت في الحكم, والذي تجسد في كثرة اطلاق أسهمهم الشعرية نحو الآخر المغتصب.

4- كان الشاعر من الركائز الأساسية في بثّ هذه المؤامرات إلى جانب مستشاري الحكام .

5- هنالك طرق عدة في نسج المكيدة قد اتخذها الشعراء, منها المديح والرثاء؛ لما لها من وقع على المتلقي.

6- يُعد الشاعر من مستلزمات البلاط, لذا نجده يتمتع بمنزلة كبيرة عند أغلب الحكام, وهذا ما سهل قضية بثّ المكائد عند بعضهم.

7- الركون إلى المرجعيات التاريخية أو الثقافية أو الدينية إذا ما ادعت الضرورة؛ لشحذ أذهان الناس إلى أمر معين من شأنه أن يكون خيطا من خيوط المؤامرة على شخص ما قد يكون وزيراً او أميراً أو ما شاكل.

8- يبقى الشعر العربي الوسيلة الأقرب للوصول إلى الغايات البعيدة, والدرع الواقي لكثير من الشعراء الذين تعرضت حياتهم للخطر لولا بضعة أبيات.

الهوامش:

[1] – المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, ط4, مصر, 2004م : 881.

[2] – لسان العرب, أبن منظور, تح: عبد الله الكبير وآخرون, دار المعارف, مصر: ج/6: 4247.

[3] – لسان العرب: ج/4 : 1073.

[4] – معجم المصطلحات الادبية, إبراهيم فتحي, التعاضدية العمالية للطباعة والنشر, تونس, 1986م : 343.

[5] – سورة يوسف/آية رقم 5.

[6] – الميزان في تفسير القرآن, محمد حسين الطباطبائي, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ط1,بيروت– لبنان, 1997م : ج/11 : 80.

[7] – مقال منشور, Matthew Gray (2010). *Conspiracy Theories in the Arab World*. ISBN:978-0-415-57518-8.

[8] لسان العرب: ج/1 : 127.

[9] – سورة القصص/ آية 19.

[10] – لسان العرب: ج/1: 127 باب(أمر).

[11] – ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ج/16 : 22.

[12] – الشعر السياسي في العصر العباسي(123–334هـ/ 750–946م) , طاهر حجار, مؤسسة جائزة عبد العزيز, الكويت, 2014م: 39.

[13] – شعر الخوارج, إحسان عباس, دار الثقافة,ط2, بيروت– لبنان, 1974م: 38

[14] – ديوان أبي الأسود الدؤلي(ت 69هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2، القاهرة، 1998م: 376.

[15] – ديوان أيمن بن خريم الاسدي, تح: الطيب العشاش، المواهب للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1999م:23.

[16] – الجنة في القرآن دراسة جمالية, ابتسام السيد عبد الكريم المدني، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، طهران، 2010م: 153 .

[17] – ديوان كثير عزة, إحسان عباس, دار الثقافة للنشر والتوزيع, بيروت– لبنان,1971م: 521.

[18] – التقية في الشعر الاموي, علي خليل محمد الطل، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الخليل، 2005م :24

[19] - فوات الوفيات, محمد بن شاكر الكتبي(764هـ), تح: إحسان عباس, دار صادر, بيروت: ج/2: 399.

[20] - الشعر السياسي في العصر العباسي: 91.

[21] – ينظر، التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط8، القاهرة، 1959م: 80.

[22] – معجم الشعراء, أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني, سالم الكرنكوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت– لبنان : 259.

[23]– كتاب الاغاني, ابو الفرج الاصبهاني, أحمد الشنقيطي, مطبعة التقدم, مصر العربية :ج/18 :150–151.

[24] – كتاب الاغاني: ج/18 : 139.

[25] – ديوان السيد الحميري, تح: ضياء حسين، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات،ط1، بيروت، 1999م: 112.

[26][26] – ينظر, الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء بن موسى الحسيني الكفوي، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م, ج/1: 201.

[27] – شرح هاشميات الكميت:198

[28] – شرح هاشميات الكميت ابن زيد الاسدي, ابو رياش احمد بن ابراهيم القيسي, تح, داود سلوم ونوري حمود القيسي, عالم الكتب,ط2, بيروت, 1986 : 146–147.

[29]– ديوان السيد الحميري : 77 .

[30] – ديوان السيد الحميري : 104 .

[31] – شرح هاشميات الكميت: 57–58.

[32] – ديوان الكميت بن زيد الاسدي, تح: محمد نبيل طرفي, دار صادر, ط1, بيروت, 2000م : 315.

[33]–شرح هاشميات الكميت: 160

[34] – ديوان السيد الحميري: 176.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط8، القاهرة، 1959م.
- التقية في الشعر الاموي, علي خليل محمد الطل، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الخليل، 2005م.
- الجنة في القرآن دراسة جمالية, ابتسام السيد عبد الكريم المدني، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، طهران، 2010م.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي(ت 69هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار ومكتبة الهلال، ط2، القاهرة، 1998م.
- ديوان أيمن بن خريم الاسدي, تح: الطيب العشاش، المواهب للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1999م.
- ديوان السيد الحميري, تح: ضياء حسين، مؤسسة الاعلمي، للمطبوعات،ط1، بيروت، 1999م.
- ديوان كثير عزة, إحسان عباس, دار الثقافة للنشر والتوزيع, بيروت– لبنان,1971م.
- ديوان الكميت بن زيد الاسدي, تح: محمد نبيل طرفي, دار صادر, ط1, بيروت, 2000م.
- شرح هاشميات الكميت ابن زيد الاسدي, ابو رياش احمد بن ابراهيم القيسي, تح, داود سلوم ونوري حمود القيسي, عالم الكتب,ط2, بيروت, 1986م.
- شعر الخوارج, إحسان عباس, دار الثقافة,ط2, بيروت– لبنان, 1974م.
- الشعر السياسي في العصر العباسي(123–334هـ/ 750–946م) , طاهر حجار, مؤسسة جائزة عبد العزيز, الكويت, 2014م.
- فوات الوفيات, محمد بن شاكر الكتبي(764هـ), تح: إحسان عباس, دار صادر, بيروت.
- كتاب الاغاني, ابو الفرج الاصبهاني, أحمد الشنقيطي, مطبعة التقدم , مصر العربية.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء بن موسى الحسيني الكفوي، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م.
- لسان العرب, أبن منظور, تح: عبد الله الكبير وآخرون, دار المعارف, مصر.
- معجم الشعراء, أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني, سالم الكرنكوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت– لبنان.
- معجم المصطلحات الادبية, إبراهيم فتحي, التعاضدية العمالية للطباعة والنشر, تونس, 1986م.
- المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, مكتبة الشروق الدولية, ط4, مصر, 2004م.
- الميزان في تفسير القرآن, محمد حسين الطباطبائي, مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, ط1,بيروت– لبنان, 1997م .